80 افتراضًا اساسيًا لمعسكر سلام جديد

1. لقد انهارت عملية السلام، وانهار معها جزء كبير من معسكر السلام الاسرائيلي.
2. حالات زائلة، اعتبارات شخصية وحزبية، ضعف الزعماء، مصالح السياسيين وتحولات سياسية اسرائيلية وعالمية – كل تلك الامور، كالزبد الذي يعلو الماء، أيا كانت اهميتها، فانها لا يمكن ان تعلل مثل هذا الانهيار الشامل.
3. بجب ان نبحث عن التفسيرات الحقيقية في الظهواهر الخفية للعيان، في جذور النزاع التاريخي بين الشعبين.
4. لقد فشل مسار مدريد-اوسلو بسبب محاولة الطرفين تحقيق اهدافا متناقضة.
5. تنبع اهداف كل من الطرفين من الاعتبارات الوطينة الاساسية لكل منهما، التي يتم بناؤها عن طريق القصة التاريخية لكل منهما، ومن الشكل الذي يرى به كل منهما اركان النزاع في المائة والعشرين سنة الاخيرة. ان وجهة النظر الوطنية التاريخية الاسرائيلية ووجهة النظر الوطنية التاريخية الفلسطينية، تتناقضان تناقضا جذريا، بكاملهما من جهة، وفي كل جزء منهما من جهة اخرى.
6. لقد تصرف المفاوضون واصحاب القرار الاسرائيليين من منطلق تجاهل القصة الوطنية الفلسطينية. وحتى عندما كانت لديهم نية صافية في الوصول إلى حل، فقد كان مصير جهودهم الفشل المسبق، لعدم تفهمهم لتطلعات الشعب الفلسطيني الوطنية، نكساته، آماله ومخاوفه. وهو الامر ذاته الذي يحدث لدى الطرف الاخر ايضا، مع ان ليست هناك موازاة بين الطرفين.
7. ان حل نزاع تاريخي طويل كهذا، ممكن فقط اذا استطاع الطرف الواحد فهم الحياة الروحانية-السياسية الخاصة بالطرف الاخر، وان يكون على استعداد للتفاهم معه كمساو له، دون استعلاء. ان التوجه الذي ينطوي على ابراز القوة المتكبر والخالي من الأحاسيس، والمعاملة التي تنطوي على الاستهتار والاستعلاء، يحولان دون ايجاد حل متفق عليه من الاساس.
8. ان حكومة باراك التي بعثت آمالا جديدة، كانت تعاني من نقص فيما يتعلق بتلك المزايا، ومن هنا ينبع الفرق الشاسع بين وعودها عند اقامتها وبين النتائج الوخيمة لاعمالها.
9. جزء كبير من معسكر السلام القديم (المدعو ايضا "اليسار الصهيوني" و "المعسكر المتعقل") تنقصه ايضا هذه الميزات، ولذا فقد انهار أسوة بالحكومة التي أيدها.
10. لذلك، فان وظيفة معسكر السلام الاسرائيلي الجديد الاولى هي التحرر من الاساطير الكاذبة والتحرر من النظرة أحادية الجانب إلى النزاع. هذا لا يعني دحض القصة الاسرائيلية اوتوماتيكيا، وتقبل القصة الفلسطينية دون جدال، إلا ان هناك واجب في الاستماع إلى الشعب الاخر بعقل متنور وتفهم وجهة نظره حول النزاع التاريخي، وذلك لبناء جسر بين القصتين الوطنيتين.
11. كل طريق غير هذه ستؤدي حتما إلى استمرار النزاع إلى ما لا نهاية، بينما ستتقطع فترات من الهدوء والتقارب المزيف، مرارا وتكرارا، بسبب اندلاع اعمال عدائية عنيفة بين الشعبين في البلاد وبين اسرائيل والعالم العربي. ان تزايد اسلحة الدمار الشامل في المنطقة من شأنه ان يجعل حربا اخرى تدمر الطرفين.
12. يعتبر النزاع الاسرائيلي الفلسطيني، استمرارا للمواجهة التاريخية بين الحركة الصهيونية وبين الشعب العربي الفلسطيني. انطلقت هذه المواجهة في اواخر القرن التاسع عشر لتستمر إلى يومنا هذا.
13. لقد كانت الحركة الصهيونية، بالاساس، ردا يهوديا على انتعاش الحركات الوطنية الاوروبية التي كانت جميعها لا سامية بشكل او بآخر. وبعد ان نُبذو من قبل الامم الاوروبية، قرر جزء من اليهود بناء أنفسهم كأمة مستقلة، بما يتوافق مع الشكل الاوروبي الجديد، واقامة

دولتهم المستقلة، ليتمكنون من تقرير مصيرهم فيها بانفسهم. لقد انبتت فكرة الانفصال التي كانت لب الفكرة الصهيونية، مع مرور الوقت، نتائج وخيمة. ان المبدأ الاساسي للحركة الصهيونية الذي يقضي بانه ليس هناك كيان لاقلية في دولة أحادية القومية بحسب الشكل الأوروبي، تسبب في كون الدولة الصهيونية التي اقيمت هي الاخرى، وبعد 50 عاما، لا تمنح الاقلية الوطنية مكانة حقيقية.

14. لقد توجهت الحركة الصهيونية، تدفعها اعتبارات تنبثق عن التقاليد والدين، إلى ارض اسرائيل (فلسطين) وقررت إقامة دولة اليهود على هذه الأرض، وكان شعارها "ارض بلا شعب لشعب بلا ارض". لم يُستقى هذا الشعار من عدم المعرفة فحسب، بل نبع ايضا من الاستعلاء العام على الشعوب غير الاوروبية الذي ساد في ذلك الحين.

15. لم تكن فلسطين خالية، لا في اواخر القرن التاسع عشر ولا في أي حقبة اخرى. لقد عاش فيها آنذاك حوالي نصف مليون شخص، حيث كان 90% منهم من العرب. ومن البديهي ان هذا الشعب قد قاوم دخول شعب آخر إلى ارضه.

16. تزامنا مع ظهور الحركة الصهيونية تقريبا، ظهرت ايضا الحركة الوطنية العربية، التي قاومت في البداية ضد الامبراطورية العثمانية، ثم الانظمة الاستعمارية التي قامت على انقاض الامبراطورية العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى. بعد ان حول البريطانيون "فلسطين" إلى دولة منفردة، بدأت تتبلور حركة عربية-فلسطينية مستقلة في البلاد، من خلال مقاومة دخول الصهيونية.

17. منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى، استمر في البلاد صراع بين حركتين وطنيتين، الحركة الصهيونية-اليهودية والحركة العربية-الفلسطينية، اللتان حاولتا تجسيد اهدافهما في منطقة جغرافية واحدة. إلا ان اهداف كل منهما دحضت اهداف الاخرى تماما. لم يتغير هذا الوضع حتى اليوم.

18. كلما زادت مطاردة اليهود في اوروبا، وأوصدت أبواب الدول أمام اليهود اللذين حاولوا الفرار من الجحيم، كلما تعاظمت ايضا الحركة الصهيونية. لقد حولت اللاسامية النازية الحلم الصهيوني إلى مشروع متطور يمكن انجازه عن طريق هجرة جارفة للقوى العاملة المدربة والتكنولوجيا والاموال. لقد قدمت الكارثة التي راح ضحيتها ستة ملايين يهودي للمطالب الصهيونية قوة اخلاقية وسياسية ادت بالتالي إلى إقامة دولة اسرائيل.

19. لم يفهم الشعب الفلسطيني، الذي رأى تطور ونمو الاستيطان اليهودي في البلاد، لماذا عليه هو بالذات ان يدفع ثمن جرائم الاوروبيين تجاه اليهود. لقد قاوم بالقوة استمرار الهجرة اليهودية إلى البلاد، وشراء اليهود للاراضي.

20. ان تغافل الشعبين عن الاحتياجات الوطنية لدى الشعب الاخر، ادى بالضرورة إلى مفاهيم كاذبة ومشوهة انغرست بعمق في وعيهما، وهي ما زالت تؤثر حتى اليوم على تصرفاتهما.

21. لقد اعتقد العرب بان الامبريالية الغربية دست اليهود في البلاد لقمع العالم العربي والاستيلاء على ثرواته، وقد ازداد هذا الاعتقاد بسبب حقيقة محاولة الحركة الصهيونية منذ البداية، إقامة ميثاق مع دولة غربية عظمى واحدة على الاقل (المانيا، بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة)، للتغلب على مقاومة العرب. هكذا نما تعاون ومصالح مشتركة بين المشروع الصهيوني والقوى الامبريالية والاستعمارية ضد يقظة العالم العربي الوطنية.

22. بينما آمن اليهود بان معارضة العرب للمشروع الصهيوني، الذي هدف إلى إنقاذ اليهود من اوروبا المشتعلة، مستقاة من الطبع الاجرامي للعرب و/او الاسلام. لقد كان المقاتلون العرب في نظرهم "عصابات" والتمرد من حين إلى آخر كان يسمى "الاحداث".
(لقد كان جبوطينسكي، اكثر الزعماء الصهيونيين تطرفا، الوحيد تقريبا الذي اعترف في العشرينات من القرن العشرين بان معارضة العرب للاستيطان الصهيوني هي رد طبيعي ولا بد منه، وعادل من وجهة نظرهم، لشعب "مولود" يدافع عن ارضه أمام مستوطنين

غرباء. لقد ادرك جبوطينسكي ايضا ان العرب هم كيان وطني مستقل، واستهزأ من محاولة رشوة الزعماء العرب الاخرين لاسكات المقاومة العربية في البلاد. إلا ان العبرة التي استخلصها جبوطينسكي كانت بناء "سور حديدي" أمام العرب وكسر مقاومتهم بالقوة.)

23. يتجسد هذا التناقض التام في النظر إلى الحقائق في كافة مظاهر النزاع. فعلى سبيل المثال، رأى اليهود في النضال من اجل "العمل العبري" مجهودا اجتماعيا يتطلع إلى التطور، هدفه تحويل شعب من التجار والموظفين إلى شعب من العمال والمزارعين. لقد رأى العرب في ذلك محاولة من قبل الصهاينة للاستيلاء على ممتلكات العرب واخراجهم من سوق العمل واقامت اقتصاد يهودي مستقل على ارضهم لا يكون فيه مكان للعرب.

24. لقد كان فخر اليهود هو "تحرير الأرض". لقد تم ابتياع الأرض بمال ليس بالقليل، جُمع من اليهود من انحاء العالم. "القادمون الجدد" الذين كانوا مثقفين وتجار قبل ذلك، اصبحوا يجمعون قوتهم من الأرض بعرق جبينهم. لك هذا بحسب رأيهم بطرق سلمية ودون تهجير أي عربي. أما العرب فقد نظروا إلى ذلك امرا قاسيا من التهجير والطرد، لكون الصهيونيين قد اشتروا الأرض من اصحاب الاموال العرب الساكنين في المدن الكبيرة وطردوا الفلاحين الذين سكنوا تلك الأرض واقتاتوا منها جيل بعد جيل، بالقوة. لذلك استخدم الصهاينة الشرطة التركية ومن ثم الشرطة البريطانية. لقد رأى العرب بأعين قلقة كيف تؤخذ منهم ارضهم.

25. أمام وجهة النظر الصهيونية القاضية "بتخضير الصحراء" جاء العرب بشهادات لمسافرين اوروبيين تشهد بان فلسطين كانت مسكونة ومزدهرة في مئات السنين الاخيرة نسبة إلى سائر البلدان المجاورة.

<u>الاستقلال والنكبة</u>

26. وصل التناقض بين وجهتي نظر الشعبين إلى اوجه في حرب عام 1948، والتي يسمونها اليهود "حرب الاستقلال" وحتى "حرب التحرير" ويسمونها العرب "النكبة".

27. وبتفاقم النزاع في البلاد، ومن جراء الكارثة، قررت الامم المتحدة تقسيم البلاد بين دولة يهودية ودولة عربية. وقد كان من المقرر وضع القدس وما حولها تحت سيطرة دولية كوحدة مستقلة. لقد منح اليهود ما يعادل 55% بما في ذلك النقب غير المأهول.

28. لقد قبلت الحركة الصهيونية مخطط التقسيم، انطلاقا من إيمانها بان المهم هو خلق قاعدة متينة لاستقلال يهودي. لم يخف دافيد بن غوريون، في اجتماعات مغلقة، نيته في توسيع الرقعة التي خصصت للدولة اليهودية. لذلك لم يكن هناك ذكر لحدود الدولة في وثيقة الاستقلال، وبقيت الدولة بلا حدود واضحة حتى اليوم.

29. لم يقبل العالم الغربي مخطط التقسيم واعتبره محاولة سخيفة من قبل الأمم المتحدة، التي كانت في حينه نادٍ من الدول الغربية والشيوعية، لتقسيم ارض لا تملكها. وقد تم تخصيص القسم الأكبر من الأرض لليهود، الذين كانوا ثلث السكان في ذلك الحين، عذر اقبح من ذنب.

30. كانت الحرب التي شنها العرب بعد مخطط التقسيم حرب "عرقية" بطبيعتها، حرب يحاول كل طرف فيها احتلال اكبر مساحة ممكنة تخلو من سكان الطرف الآخر. إن معركة من هذا النوع (والتي أطلق عليها، مع مرور الوقت، اسم "التطهير العرقي") مقرونة دوما بالطرد والأعمال الفظيعة.

31. كانت حرب عام 1948 استمرارا مباشرا للصراع الصهيوني العربي، وقد حاول كل طرف فيها تحقيق أهدافه، فقد حاول اليهود إقامة دولة وطنية أحادية القومية، كبيرة قدر الإمكان، أما الطرف العربي فقد حاول القضاء على الكيان اليهودي-الصهيوني الذي أقيم في البلاد.

32. قام الطرفان بتطهير عرقي، كأمر مفروغ منه في الحرب. لم يبق عرب تقريبا في المناطق التي احتلها اليهود، ولم يبق يهود في المناطق التي احتلها العرب. إلا انه بسبب احتلال اليهود لمساحات كبيرة، واحتلال العرب لمساحات صغيرة، كانت هناك نتيجة أحادية الجانب. (حتى في الثلاثينات بحثت المؤسسات الصهيونية فكرة "التبادل السكاني" و

"الترانسفير"، وقد كان التفسير العملي لهما هو تهجير السكان العرب من البلاد، أما من جهة العرب فقد اعتقد الكثير أن على الصهاينة العودة من حيث أتوا.)

33. ولدت لدى الطرف اليهودي الأسطورة "أقلية ضد أغلبية"، لان تعداد السكان اليهود الذي وصل إلى 650 ألف شخص فقط، واجه العالم العربي كله، الذي وصل عدده إلى اكثر من مائة مليون نسمة. وقد فقد الاستيطان في الحرب 1% من أبناءه. أما في الطرف العربي فقد ارتسمت صورة مخالفة تماما، حيث انه أمام الاستيطان اليهودي المنظم والذي عرف كيف يستخدم السلاح المتوفر لديه، وقف مجتمع عربي مفكك، بلا قيادة وطنية تُذكر، وتفتقر إلى قيادة موحدة للقوات القليلة التي كان لديها عتاد قتالي غير متطور، قليل العدد واكثره قديم. لقد خانت الدول العربية المجاورة الفلسطينيين، وعندما دخلت جيوشها اخيرا إلى البلاد، تبارت على الاغلب فيما بينها، دون تنسيق او تخطيط. وقد تفوقت القوات العسكرية الاسرائيلية من الناحيتين الاجتماعية والعسكرية، تفوقا كبيرا على قوات الدول العربية، التي كانت قد نجت بصعوبة من الفترة الانتدابية.

34. كان من المقرر، وفق مخطط الامم المتحدة، ان تضم الدولة مواطنين عرب بنسبة 40%. وسعت الدولة اليهودية حدودها خلال الحرب، وفي نهايتها سيطرت على 78% من مساحة البلاد، لتظل هذه المساحات خالية من السكان العرب، واما بقاء السكان في الناصرة والقرى المجاورة فقد كان محض صدفة. أما قرى المثلث فقد اعطاها الملك عبدالله لاسرائيل كجزء من الصفقة، لذا لم يكن بالامكان إخلائها.

35. لقد كان المجموع الاجمالي للمهجرين 750,000 فلسطيني تقريبا. فر جزء منهم من وطأة المعارك، مثل ما يحدث للسكان العزل اثناء الحرب، والبعض تم ترحيلهم باساليب فظيعة مثلما حدث في دير ياسين، وجزء تم طرده بشكل مدروس في اطار التطهير العرقي.

36. ان حقيقة عدم السماح للفلسطينيين بالعودة إلى منازلهم بعد توقف المعارك، كما هو متبع بعد أي حرب عادية، ليست اقل اهمية من التهجير نفسه، بل على العكس، فقد رأت اسرائيل، الحديثة العهد، في تهجير العرب فائدة كبيرة، واسرعت تمحو حوالي 450 قرية عربية من على وجه الأرض، واقيمت على انقاضها مجمعات سكانية يهودية جديدة، من خلال "تهويد" أسمائها السابقة. وتم تسكين اعداد هائلة من "القادمين الجدد" في البيوت التي خلت من سكانها في المدن.

<u>"دولة يهودية"</u>

37. عند توقيع معاهدة وقف اطلاق النار عام 1948، لم ينته الصدام التاريخي، بل على العكس، دخل في مرحلة اكثر فاعلية.

38. كرست دولة اسرائيل الجديدة سنواتها الاولى لبلورة صورتها الوطنية-أحادية القومية "كدولة يهودية". لقد تم مصادرة مساحات واسعة من ايدي "الغائبين"، "والغائبين الحاضرين"، وحتى من مواطيني الدولة العرب، الذين اخذ منهم معظم اراضيهم. اقيمت عليها شبكة مكتظة من القرى والمدن اليهودية. تمت دعوة آلاف "القادمين الجدد" وحتى انهم دُفعوا إلى المجيء إلى البلاد. ادى هذا المجهود العظيم إلى تقوية الدولة بعدة اضعاف خلال سنين معدودة.

39. في تلك الاثناء، تبنت الدولة سياسة مكثفة لمحو الكيان الفلسطيني ككيان وطني، فقد سيطر ملك عبر الاردن، الملك عبدالله، على الضفة الشرقية، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم هناك ضمان عسكري اسرائيلي لاستمرار وجود المملكة الاردنية.

40. كان الهدف الرئيسي من الميثاق بين اسرائيل والسلالة الهاشمية، بجيلها الثالث حتى الان، هو منع إقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة، التي رأت وما زالت ترى القيادة الاسرائيلية فيها عائقا أمام تحقيق الاهداف الصهيونية.

41. حدث تحول تاريخي في اواخر الخمسينات لدى الطرف الفلسطيني، عندما اسس ياسر عرفات ورفاقه حركة فتح، التي هدفت بالاساس إلى تحرير حركة تحرير فلسطين من

وصاية الحكومات العربية. فلم يكن تأسيس هذه الحركة، بعد فشل الوحدة العربية التي كان في طليعتها جمال عبد الناصر، مجرد صدفة، فحتى ذلك الحين كان لدى الكثير من الفلسطينيين امل في الانخراط ضمن امة عربية واحدة. إلا انه عندما تلاشى هذا الامل، عادت لتظهر من جديد الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة.

42. اقيمت منظمة التحرير الفلسطينية من قبل جمال عبد الناصر بهدف منع استقلالية التصرف الفلسطيني، الذي كان من شأنه جره إلى الحرب مع اسرائيل فهو لم يكن يريد ذلك. لقد كانت وظيفة المنظمة هي بسط السيطرة المصرية على الفلسطينيين، إلا انه بعد خسارة العرب في حرب عام 1967، سيطرت فتح بقيادة ياسر عرفات على منظمة التحرير، التي اصبحت تشكل منذ ذلك الحين العنوان الوطني لتمثيل الشعب الفلسطيني.

"حرب الايام الستة"

43. كما هو الحال في أي حدث اخر من احداث المائة والعشرين سنة الاخيرة، فقد رأى الطرفان الحرب بمنظار مختلف تمام الاختلاف، فبحسب الاسطورة الاسرائيلية، كانت هذه الحرب حرب دفاعية مستميتة، سقطت فيها بايدي اسرائيل، بطريق الصدفة، مساحات شاسعة. أما بحسب الاسطورة الفلسطينية، فان زعماء مصر وسوريا والاردن قد وقعوا في كمين دبرته لهم اسرائيل، كان هدفه تمكين اسرائيل من احتلال ما تبقى من ارض فلسطين.

44. يؤمن الكثيرون من الاسرائيليين، بان حرب الايام الستة هي افظع الاخطاء، حيث تحولت اسرائيل المتطورة والداعية للسلام، بعد هذه الحرب إلى دولة محتلة ومستوطنة. هذا الايمان يجعل اصحابه يطهرون الصهيونية واسرائيل من اية وصمة عار لحقتهما حتى ذلك الحين. وبهذا يتمكنون من الاستمرار بالتمسك بالاساطير القديمة. ليس في هذه الاسطورة أي نوع من الحقيقة.

45. لقد كانت حرب عام 1967 مجرد مرحلة اخرى في النزاع القديم بين الحركتين الوطنيتين. فهي لم تغير الجوهر، انما غيرت الظروف فقط. ان التطلعات الاساسية للحركة الصهيونية – دولة يهودية وتوسيع المستوطنات – حصلت على مساحات اضافية. وبسبب ظروف خاصة، لم يكن بالامكان تنفيذ التطهير العرقي هذه المرة بشكل كبير، إلا انه في هذه المرة ايضا تم تهجير مئات الاف الفلسطينيين.

46. بعد ان كان مخطط التقسيم قد منح اسرائيل ما يقارب 55% من البلاد، وفي حرب عام 1948 كانت قد احتلت 23% اخرين، فها هي الان تحتل 22% المتبقية عبر "الخط الاخضر". ومن دون قصد، وحدت اسرائيل في حرب عام 1967 الشعب الفلسطيني (بما فيه جزء من اللاجئين) تحت سيطرتها.

47. عند انتهاء الحرب مباشرة، بدأت الحركة الاستيطانية. شاركت فيها كافة الفصائل السياسية في البلاد تقريبا – ابتداء من "غوش ايمونيم" المتدين العنصري وانتهاء بالكيبوتس الموحد (هكيبوتس همؤحاد) "اليساري". لقد حظي المستوطنون الاوائل برعاية أغلبية السياسيين من اليمين ومن اليسار، من يغأل الون (الخليل) وحتى شمعون بيرس (كدوميم).

48. ان الحقيقة الواقعة بان كافة حكومات اسرائيل طورت المستوطنات، بشكل او بآخر، تشهد على ان التطلع إلى الاستيطان لا يقتصر على معسكر ايديولوجي أيا كان، بل يشمل المعسكر الصهيوني برمته. ان الانطباع السائد بان هناك أقلية تدعم المستوطنات إلى الامام، ما هو إلا وهم. فالمجهود المكثف الذي بدلته الوزارات الحكومية منذ عام 1967 وحتى اليوم، مكّن من خلق البنية التحتية التشريعية، التنظيمية والمالية، المطلوبة لمجهود ، طويل الامد ومكلف.

49. ان البنية التشريعية تشمل الادعاء الكاذب بان سلطة الاحتلال هي التي تملك "اراضي الدولة"، رغم ان هذه الاراضي هي احتياطي مهم جدا للمواطنين الفلسطينيين. من البديهي فهمه، ان كل الحركة الاستيطانية مرفوضة من قبل القوانين الدولية.

50. الجدال بين من يحملون راية "ارض اسرائيل الكاملة" وبين اولئك الذين ينادون "بالتسوية الاقليمية"، هو جدال حول طريقة تحقيق التطلع الصهيوني الاساسي: دولة يهودية متجانسة على اكبر مساحة ممكنة من الأرض. من ينادون بالتسوية يشددون على الناحية الديموغرافية ويريدون منع ضم السكان الفلسطينين إلى الدولة، بينما يشدد دعاة "ارض اسرائيل الكاملة" على الناحية الجغرافية ويؤمنون (علانية او خفية) انه من الممكن طرد السكان غير اليهود من البلاد (الاشارة السرية "ترانسفير").

51. لعبت قيادة اركان الجيش في اسرائيل دورا اساسيا في تخطيط المستوطنات والتنفيذ لها. لقد وضعت خريطة المستوطنات (والتي تنسب إلى اريئل شارون): تكثيف المستوطنات والطرق الالتفافية على محاور الطول والعرض، بحيث يتجزأ قطاع غزة والضفة الغربية إلى اجزاء ليبقى الفلسطينيون محاصرين في مناطق معزولة وكل منها محاصر بالمستوطنات وجيش الاحتلال.

52. حاول الطرف الفلسطيني المقاومة بوسائل مختلفة، وعلى الاغلب بواسطة تسلل من الحدود الأردنية او اللبنانية، وبعمليات داخل البلاد وفي انحاء العالم. يطلق الاسرائيليون على هذه العمليات "ارهاب"، اما الفلسطينيون فيعتبرونها معارضة شرعية لشعب احتلت ارضه. ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها ياسر عرفات، اعتبرت في نظر اسرائيل قيادة ارهابية، وقد اعترفت بها المحافل الدولية "كالممثل الشرعي والوحيد" للشعب الفلسطيني.

53. عندما ادرك الفلسطينيون ان هذه العلميات لن توقف موجة المستوطنات، وانها تسحب الأرض من تحت ارجلهم بالتدريج، بدات الانتفاضة عام 1987، وكانت انتفاضة شعبية تلقائية شملت كافة الفئات الشعبية. لقد تم قتل ما يقارب 1500 فلسطيني على يد اسرائيل في هذه الانتفاضة، بينهم مئات الاطفال، ويبلغ هذا اضعاف الضحايا الاسرائيلين.

المسيرة السلمية

54. اقنعت حرب اكتوبر عام 1973 التي انطلقت بانتصار مفاجئ للقوات المصرية والسورية وانتهت بفشل هذه القوات، اقنعت ياسر عرفات ورفاقه بانه ليس هناك خيار عسكري لتحقيق التطلعات الوطنية الفلسطينية. وقد قرر فتح مسار سياسي للوصول إلى تسوية مع اسرائيل، يمكنها ان تحقق جزء من تطلعات الشعب الفلسطيني، عن طريق المحادثات.

55. وللتحضير لذلك، قام عرفات لاول مرة بالاتصال بشخصيات اسرائيلية يمكنها التاثير على الراي العام في اسرائيل وعلى سياسة الحكومة. التقى مبعوثوه (سعيد حمامة وعصام سرطاوي) بشخصيات اسرائيلية، ممن كانوا في طليعة رجال السلام، والذين أسسوا في اواخر عام 1975 "المجلس الاسرائيلي للسلام الاسرائيلي الفلسطيني".

56. ادت هذه الاتصالات، يصحبها وهن متزايد في اسرائيل بسبب الانتفاضة، انسحاب الاردن من الضفة الغربية والمستجدات على الصعيد العالمي (انهيار الكتلة الشرقية وحرب الخليج)، ادت إلى مؤتمر مدريد والى اتفاقية اوسلو فيما بعد.

اتفاقية اوسلو

57. كان لاتفاقية اوسلو اوجه ايجابية واوجه سلبية.

58. أما الوجه الايجابي فكان اعتراف اسرائيل الرسمي لاول مرة بالشعب الفلسطيني وقيادته الوطنية، واعتراف الحركة الوطنية الفلسطينية بوجود دولة اسرائيل. فمن هذه الناحية، كانت الاتفاقية (وما سبقها من تبادل الرسائل)، ذات قيمة تاريخية من الدرجة الاولى.

59. عمليا، منحت الاتفاقية الحركة الوطنية الفلسطينية، قاعدة جغرافية على الأرض الفلسطينية، تركيبة تعني "دولة في طور الانشاء" وقوة مسلحة. لعبت هذه الحقائق دورا مهما في النضال الفلسطيني فيما بعد. وقد منحت الاتفاقية الطرف الاسرائيلي فتح الابواب امامه إلى العالم العربي ووقف العمليات، كل ذلك في الاوقات التي سرى فيها مفعول الاتفاقية.

60. ان النقص الاساسي في اتفاقية اوسلو، كان ينبثق عن كون الطرفين يريدان الوصول عن طريق الاتفاقية إلى غايتين مختلفتين تماما: فقد رأى الطرف الفلسطيني في الاتفاقية المرحلية منفذا لاقامة الدولة الفلسطينية، من خلال انهاء الاحتلال واخلاء كافة المناطق. أما حكومات اسرائيل، فقد رأت فيها طريقة لاستمرار احتلال اجزاء واسعة من الضفة والقطاع، بينما يقوم الحكم الذاتي الفلسطيني بوظيفة العميل المساعد لتأمين امن اسرائيل والمستوطنات.

61. لذلك لم تشكل اتفاقية اوسلو بداية الطريق لانهاء النزاع، بل كانت مرحلة جديدة في النزاع.

62. بسبب التوقعات المختلفة لدى الطرفين، حيث بقي كل منهما ملتصقا "بقصته" الوطنية، تم تفسير كل من بنود الاتفاقية تفسيرا مختلفا لدى كل منهما. وفي نهاية المطاف لم يتم تطبيق الكثير من بنود الاتفاقية، وخاصة من قبل اسرائيل (الانسحاب الثالث، المعابر الامنة الاربعة وغيرها).

63. استمرت اسرائيل، خلال فترة "مسيرة اوسلو" بتوسيع مكثف للمستوطنات وخاصة بواسطة إقامة مستوطنات جديدة مستخدمة في كل مرة تمويه مختلف، مثل توسيع المستوطنات القائمة، بناء شبكة كبيرة من "الطرق الالتفافية" ، مصادرة الاراضي، هدم البيوت، اقتلاع الكروم وغيرها. أما من جهة الفلسطينيين فقد استغلوا الوقت لبناء قوتهم، في اطار الاتفاقية وخارجه. عمليا، استمر النزاع التاريخي بكل ما فيه من قوة تحت غطاء من المحادثات و"المسيرة السلمية" الذي اصبح بديلا للسلام ذاته.

64. استمر اسحق رابين، بعكس الانطباع السائد عنه والذي قوي بعد موته، بادارة النزاع "ميدانيا" بكل قوته، في نفس الوقت الذي كان يدير فيه المسيرة السياسية انطلاقا من التطلع إلى تحقيق "السلام"، وفق المفاهيم الاسرائيلية. وبكونه تلميذ "القصة" الصهيونية وشريك في اساطيرها، انتابه عدم تطابق في التفكير، في الوقت الذي تعارض تطلعه إلى السلام مع عالم مصطلحاته. من الظاهر انه بدا يستوعب الحقائق الفلسطينية في اواخر حياته فقط.

65. أما وضع شمعون بيرس فقد كان اكثر صعوبة، فقد كون لنفسه صورة دولية كرجل سلام وقد لاثم لغته الكلامية لهذه الصورة. ("الشرق الاوسط الجديد") بينما بقي في ماهيته صقر صهيوني تقليدي. لقد ظهر ذلك جليا في الفترة القصيرة المليئة بسفك الدماء، والتي تولى فيها منصب رئاسة الحكومة. بعد اغتيال رابين، وايضا عندما استلم وظيفة الناطق بلسان شارون.

66. لقد قُدم اوضح تجسيد للحيرة الاسرائيلية من قبل باراك، الذي وصل إلى السلطة مقتنعا تماما ان بامكانه قطع دابر النزاع التاريخي بضربة واحدة، على طريقة الاسكندر المقدوني. لقد تطرق باراك إلى الموضوع يدفعه جهل تام لوجهة النظر الفلسطينية ومن خلال الاستهتار التام باهميتها في الموضوع. لقد قدم اقتراحاته بشكل ينطوي على الانذار النهائي، ورفض هذه الاقتراحات اثار لديه الدهشة والغضب.

67. لقد تصور باراك والشعب الاسرائيلي برمته انه قد "قلب كل حجر" وعرض على الفلسطينيين "عروضا سخية لم يقدمها أي رئيس حكومة من قبله"، طلب لقائها توقيعا فلسطينيا يقضي "بانهاء النزاع". لقد نظر الفلسطينيون إلى هذا الادعاء كأمر يدعو للسخرية، لان براك طلب منهم التخلي عن اسس تطلعاتهم الوطنية. كحق العودة والسيطرة في القدس الشرقية والحرم الشريف، كما ان موضوع المناطق الذي طرح من قبل باراك على انه موضوع نسب مئوية قليلة ("مجمعات استيطانية") كان وفق الحساب الفلسطيني عمليا ضم اكثر من 20% من المناطق الواقعة عبر الخط الاخضر.

68. بحسب الادعاء الفلسطيني قدم الفلسطينيون اكبر تنازل ممكن بمجرد موافقتهم على إقامة دولتهم عبر الخط الاخضر، أي ما يعادل 22% فقط من مساحة وطنهم التاريخي. لذلك يمكنهم، بحسب اعتقادهم، الموافقة على تغييرات حدودية طفيفة فقط، وذلك في اطار تبادل الاراضي. ان الموقف الاسرائيلي التقليدي هو ان ما تم تحقيقه في حرب 1967 هو امر

واقع لا يمكن الاعتراض عليه، والان هم بصدد الوصول إلى حلول وسط فيما يتعلق بـ 22 % الباقية.

69. كما هو الحال في كافة المصطلحات والتعبيرات فان للمصطلح "تنازل" تفسيرات مختلفة لدى كل من الطرفين. فبحسب ادعاء الفلسطينيين فقد "تنازلوا" عن 78% من بلادهم بمجرد موافقتهم على 22% منها. أما بحسب الادعاء الاسرائيلي، فانهم "يتنازلون" بينما يوافقون على "اعطاء" الفلسطينيين اجزاء من الـ 22% (الضفة الغربية وقطاع غزة).

70. لقد وصلت الامور إلى ذروتها في مؤتمر كامب ديفيد في صيف عام 2000، الذي فُرض على عرفات رغما عنه ودون ان تكون الظروف مناسبة. بحسب مطالب باراك التي صورت في المؤتمر على انها اقتراحات كلينتون، كان على الفلسطينيين الموافقة على انهاء النزاع من خلال التنازل عن حق العودة، وعن العودة نفسها، والموافقة على ترتيبات معقدة في شرقي القدس والحرم الشريف فلم يمنحوهم السيطرة عليهما، والموافقة على ضم مجمعات استيطانية كبيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ووجود عسكري اسرائيلي في مناطق واسعة اخرى وفي المعابر الحدودية بين الدولة الفلسطينية والعالم. لم تكن هناك اية امكانية لزعيم فلسطيني للتوقيع على مثل هذه الوثيقة، ولذلك انتهى المؤتمر دون الوصول إلى شيء، مع انتهاء عهدي باراك وكلينتون.

انتفاضة الاقصى"

71. فشل المؤتمر الذي بدد أي امل في الوصول إلى اتفاق بين الطرفين، والموقف الامريكي الصارم الموالي لاسرائيل أديا بالضرورة إلى موجة جديدة من المصادمات الاليمة، لقبت "انتفاضة الاقصى". من وجهة نظر الفلسطينيين فهذا هو تمرد وطني عادل ضد الاحتلال المستمر الذي لا تلوح نهايته في الافق، فالارض تسحب من تحت اقدامهم يوميا. أما من وجهة نظر الاسرائيليين، فانه انطلاقة للارهاب الفتاك. ان منفذي العمليات الذين ينظر اليهم الفلسطينيون كابطال وطنيين، هم في نظر الاسرائيليين مجرمين قساة يجب القضاء عليهم.

72. لم تعد وسائل الاعلام الرسمية في اسرائيل تتحدث عن المستوطنين بل اخذت تتحدث، من خلال توجيه اعلى، عن "الساكنين" وكل هجوم عليهم يعتبر مسًا بالمواطنين. يعتبر الفلسطينيون المستوطنين راس الحربة لعدو خطر، يريد طردهم من ارضهم، وان المس بهم هو امر ضروري.

73. لقد انهار جزء كبير من "معسكر السلام" الاسرائيلي اثناء انتفاضة الاقصى، واتضح ان كل معتقداته كانت مبنية على برج من زجاج. لان هذا المعسكر لم يراجع من جديد "القصة" الصهيونية مراجعة حقيقية، ولم يذوت الحقيقة بان هناك ايضا "قصة" فلسطينية، وتصرف الفلسطينيين في نظره غير مفهوم ابدا، وخصوصا بعد ان قام باراك "بقلب كل حجر" وقدم "اقتراحات اكثر سخاء من كل من سبقه". ولم يبق سوى تفسير واحد هو ان الفلسطينيين احتالوا على معسكر السلام الاسرائيلي، وانه لم تكن في نيتهم حقا الوصول إلى السلام وان هدفهم الحقيقي هو قذف الاسرائيليين إلى البحر، كادعاء اليمين المتطرف منذ الازل.

74. نتيجة لذلك، تلاشت كافة الفروق تقريبا بين "اليمين" و"اليسار". لقد انضم قادة حزب العمل إلى حكومة شارون وتحولوا إلى افضل اعلاميين لاعمالها (شمعون بيرس)وحتى المعارضة الرسمية في اليسار (يوسي سريد) انضمت إلى الاحتفال. لقد اثبت هذا ان القصة الصهيونية هي الامر الفاصل الذي يوحد كافة اجزاء الحلبة السياسية في اسرائيل، بحيث اصبحت الفروق بين رحابعام زئيفي وابراهام بورغ، اسحق ليفي ويوسي سريد، عند الاختبار، ثانوية.

75. هناك تراجع ملحوظ في نية الفلسطينيين بالحوار مع قوى السلام الاسرائيلية، نتيجة لخيبة الامل التامة من "حكومة اليسار" التي علقوا بها آمالهم بعد فترة نتنياهو، ومن الحقيقة انه عدا معسكر السلام الراديكالي الصغير، لم تقف اية جهة اسرائيلية في وجه الرد العنيف لجيش الاحتلال. حتى الميل إلى توحيد الصفوف، الذي يميز كل شعب في حالة حرب استقلال،

تتسبب في كون القوى الوطنية والدينية المتطرفة في الطرف الفلسطيني تستخدم الفيتو ضد أي عمل مشترك اسرائيلي فلسطيني واسع.

معسكر سلام جديد

76. ان انهيار معسكر السلام الاسرائيلي القديم يحتم إقامة معسكر سلام جديد، حقيقي، حديث، ناجع وقوي، يستطيع التأثير على الجمهور الاسرائيلي وايجاد تغيير كامل للقيم، لتغيير وجه المعركة السياسية في اسرائيل.

77. لذلك، على معسكر السلام الجديد ان يحث الرأي العام على اعادة النظر، بشجاعة، إلى "القصة" وتنقيتها من الاساطير الكاذبة. عليه بذل جهد حقيقي لتوحيد الادعاء التاريخي لدى كلا الشعبين في "قصة" واحدة متحررة من الاكاذيب التاريخية، وتكون مقبولة لدى الطرفين.

78. تزامنا مع ذلك، يجب تثقيف الشعب الاسرائيلي كي يدرك ان عملية ارساء قواعد الصهيونية في البلاد، بكل ما فيها من نواح ايجابية وسلبية، كانت مقرونة بضرر فاحش للشعب الفلسطيني ، هذا الضرر الذي وصل إلى ذروته في فترة النكبة، يحتم علينا تحمل المسؤولية وتصليح ما قد تشوه قدر الإمكان.

79. بعد الفهم الجديد للماضي والحاضر، سيكون على معسكر السلام الجديد وضع مخطط للسلام يرتكز على الاسس التالية:

(أ) ستقوم دولة فلسطينية، حرة ومستقلة، إلى جانب دولة اسرائيل.

(ب) سيشكل الخط الاخضر الحدود بين الدولتين. واذا اتفق الطرفان، فمن الممكن تبادل مناطق معينة، في اطار محدود.

(ج) يتم اخلاء المستوطنات من مناطق الدولة الفلسطينية.

(د) تكون الحدود بين الدولتين مفتوحة لمرور الناس والبضائع، وفقا لمعايير يتم الاتفاق عليها بين الطرفين.

(ه) تكون القدس عاصمة للدولتين – الغربية عاصمة اسرائيل والشرقية عاصمة فلسطين. ستكون للدولة الفلسطينية سيادة كاملة على القدس الشرقية، بما في ذلك الحرم الشريف. وتكون لدولة اسرائيل سيادة كاملة على القدس الغربية بما في ذلك حائط المبكى والحي اليهودي. توافق الدولتان على توحيد المدينة من الناحية البلدية.

(و) تعترف اسرائيل مبدئيا بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، كحق انساني لا يمكن الاعتراض عليه. الحل العملي للمشكلة يكون عن طريق الاتفاق بين الطرفين. على اساس عادل، نزيه وعملي، ويضم العودة إلى مناطق الدولة الفلسطينية، العودة إلى مناطق دولة اسرائيل ودفع التعويضات.

(ز) تقع الثروات المائية تحت سيطرة الطرفين المشتركة ويتم توزيعها بالتفاهم. على اساس التساوي والنزاهة.

(ح) معاهدة امنية بين الدولتين تحقق الامن لكلتيهما وتأخذ بالحسبان الاحتياجات الامنية الخاصة لدولة اسرائيل ودولة فلسطين.

(ط) تقوم اسرائيل وفلسطين بمشاركة دول المنطقة، بانشاء مجتمع شرق-اوسطي على طراز الاتحاد الاوروبي.

80. ان توقيع معاهدة السلام وتحقيقها الفعلي، بنزاهة وعن طيب خاطر، يؤدي إلى مصالحة تاريخية بين الشعبين، ترتكز على المساواة، المشاركة والاحترام المتبادل.